الزواج عند يهود بغداد

Le mariage chez les Juifs de Bagdad.

١ً تمهيد

تختلف مناهج واساليب الزواج عند يهود بغداد اختلافاً يذكر عن وطنيهم المسلمين والمسيحيين حتى ان اغلب ابناء الزور آء يجهلون اليوم جل عاداتهم ان لم نقل كلها ولهذا احببنا ان نطلع قراء مجلة « لغة العرب » الكرام بهذه النبذة على عادات زواجهم فنقول :

٢ً انتقاء لزوجة ومسئلة الصداق

اذا وطن الشاب نفسه على الاقتران بفتاة والديه على مايدور في خلده (هذا اذا كان له والدان والا فيكاشف بما في صدره اقرباءه او احد معارفه) فيستدعي الايوان احد دلالي الفتيات (١) (وما اكثرهم عند اليهود) ويمرضان عليه مسئلة ولدهما فيأخذ الدلال ويصف لهما حالاً بعض الفتيات اللواتي يعرف اسماءهن ويذكر منبتهن (دوطة) كل منهن واسم ابويها ولقب اسرتها ويثني على مناقبها ومحاسنها فاذا صادفت احداهن حظوة وراقتهما يخبران عنها ابنهما ويأخذانه معهما الى دار والديها حتى يراها بعينه . وكان يحظر على الفتى في السنين السالفة ان يرى الفتاة قبل عقد النكاح اما الان فقد خرقت تلك العادة السيئة المتبعة ولم يبق حكمها جارياً الا عند طائفة من المتعلقين باهداب العوائد القديمة . فاذا رآها الشاب واعجبه حسنها وآدابها يخبر والديه بانها قد وقعت في نفسه فيأخذان بمساومة الدلال في امر الصداق (الدوطة) فيعرض عليهما الرجل قدراً من الدنانير فاذا وجداها زهيدة بالنسبة الى مقام ابنهما يقولان له بكل تصريح ان ثمن ولدنا لاكثر مما دفعت له فيذهب الدلال الى اهل الفتاة ويقنع والديها ان يزيدا نقود المهر لان الفتى من زهرة الشبان النجباء ومن نخبة الفتيان الادباء النبلاء واهل لكل المحامد والفضائل وهو جدير بان يدفع له مبلغ يجذبه الى الابنة . هذا فضلاً عن انه وجيه بين اقرانه عظيم عند معارفه واخدانه ويأخذ بالثناء على همته ومروءته وما له من المنزلة الرفيعة عند التجار والاغنياء الى ان يغوى الدلال سامعيه في اغلب الاحيان بما يبذل من شقشقة لسانه حتى يبلغ مناه وينال

(١) دلال الفتاة هو الذي يسعى في ايجاد عروس لمن يرغب في الزواج.

اسماً رفيعاً ومالاً طائلاً من الحلوان الذي يتقاضاه ولا يهمه البتة شيء آخر

وبعد ان يتم الوفاق بين اهل الفتى والفتاة تعلن الخطبة على رؤوس الاشهاد وتختلف الباشة (الدوطة) بحسب تفاوت الدرجات فلا يكون مهر ابنة الغني كمهر ابنة التاجر او الصانع بل تختلف اختلافاً عظيماً فالفقراء منهم يدفعون غالباً من عشر ليرات الى ثلاثين ليرة واما المتوسطون فمن خمسين ليرة الى ثلثمائة واما التجار والاغنياء فمن خمسمائة الى الف او الفين واكبر صداق دفع في حاضرتنا هو سبعة آلاف ليرة عثمانية اي ١٠٦٨٠٠٠٠ فرنك دفعته السيدة (ن) كريمة المثري الشهير منشي مثلون الى الخواجا اخضوري بن شماش.

والشيء الذي لابد من ذكره هو ان الفقراء الذين لا يملكون شروى نقير يكرهون نساءهم على ان يجلسن في باحة الكنيس واروقة المجامع وفوارع الطرق ومفارق الشوارع ليستعطين من المارين وليجمعن باسمة لبناتهن ولا تسأل عن صورة جمعها فانها تجمع بطرق تشمئز منها النفوس الابية فتقعد الام وعيناها شاخصتان الى المارة وهي تستعطفهم وتوجه انظارهم الى ذلها ومسكنتها وفقرها المدقع وبعض الوالدات يذهبن الى رئيس الحاخامين ليكتب لهن رسالة وصاة يحملنها الى سراة القوم ووجوه الامة ليمدوا اليهن يد المساعدة . فبهذه الصورة وبغيرها تجمع الدراهم المطلوبة وتقدم الى الشاب كلقمة سائغة وطعام مريء وهنيء . فاذا اعترض احد عقلاء الامة على هذا العمل المخالف للشهامة وعزة النفس يجاب حالاً انه لايجوز شرعاً في الدين اليهودي ان تطلق الفتاة من دار والديها صغر اليدين ويستشهدون ادعاماً لرأيهم بما ورد في سفر التثنية ١٥:١٢ من ان العبد اذا خدم سيده ست سنوات ففي السنة السابعة يعتق ويطلق سراحه مزوداً بالمال فكيف لا تزود الفتيات اللاتي قد خدمن والديهن منذ صغرهن. ولقد فات المعترض ان ذلك يعمل اذا كان الانسان ذا سعة ولا واجب عليه اذا ضاقت حاله بحيث يضطر الى ان ينتهك مبدأ التعاون والتضامن الحقيقي. ويخيل الينا ان منشأ هذا الاكراه هو الاعتقاد الجازم بصحة الزواج الباكر فالفتاة اذا تجاوزت الثامنة عشرة او العشرين باتت منبوذة كاحدى النبات لا يمد احد اليها يداً. اما الآن فقد تغيرت الحال قليلاً بواسطة المدارس والمكاتب فاصبح الشاب المتهذب لا يرضى شريكة لحياته الا التي تكون كاملة السن حائزة صفات الامومة عالمة باغلب

فروع المعارف العصرية كتدبير المنزل والخياطة والقراءة والكتابة ونحوها

٣ تزوير الخطبة

عند نفر من رعاع يهود بغداد عادة ذميمة جداً الا وهي اذا رأى احدهم فتاة حسناء بديعة الجمال فريدة الخلال والخصال وهام بها لكنه لا يصل اليها لانها ارفع منه جاهاً واسمى نسباً او حسباً فلا يستطيع ان يقدم على خطبتها جهراً لئلا يلحقه من الذل والهوان وقوارص الكلام مالا تطيق على حمله الاطواد الراسيات يعمد الى اختلاق الحيل فيفوبها بنفثات لسانه. فاذا افلتت من كيد فخه ونجت سالمة من شركه، احتال عليها بوسيلة اخرى. والوسائل في شرع اليهود عديدة ناجعة تساعد الاوباش على نيل بغيتهم وقضاء وطرهم . فمنها: انه اذا اهداها احدهم خاتماً او نفحها بصرة من الدنانير او بقطعة من النقود الدارجة بشرط ان تكون من الذهب او الفضة بمرأى ومسمع من الناس وقال لها: يا فلانة لك اقول خذي هذه الهدية مني عربوناً على عقد خطبتي لك (وغالباً يتلفظ بتلك الكلمات بصوت منخفض جداً بحيث يتم ولا يسمع كلامه بجلاء) فالفتاة المسكينة تذهل طبعاً من تلك المباغتة فتأخذ بان تتفرس بوجه الصبي وبيدها تقدمته لانها لا تعرف من امره شيئاً ولا لاي شيء تقدم لها تلك الهدية فاذا خطت ثلاث خطوات وهي حاملة خاتمه او نقوده تعد خطيبة له شرعية ولا يقدر ان ينازعه فيها منازع؛ اما اذا القت من يدها في الحال هديته فلا يعتد بفعلها بل ولا يحفل بما اتاه؛ بيد ان اغلب الفتيات المسكينات يعترين شيء من الذهول فلا يفطن لما في ايديهن ولا يدرين باذا يجبن فهرين من امام ذلك الحيوان الضاري لا يلوين على شيء كالظبي النافر من وجه الاسد فيمد فرارهن هذا حجة ساطعة عليهن ودليلاً راهناً على رضاهن وكم جرت هذه العادة الذميمة ـ التي لم ينزل بها الله من سلطان ـ من الويلات والمنازعات فعلى شبان العصر ورجال النهضة الحالية ان يجعلوا حداً لتلك الموبقات المعدودة من فظائع الهمجية. ومما يزيد الطين بلة ان بعض المتشردين والمشعوذين يستأجرون طائفة من ارباب المفاسد لهذه الغاية السافلة فاذا تم لهم ما قصدوه يذهبون بهم الى الربانيين فيستنطق هؤلاء اولئك الواحد بعد الاخر فاذا وجدوا ان الشهود يؤيدون دعوى الشاب يصرحون على رؤوس الملا ان الفتاة باتت خطيبة شرعية للمدعي وبما

هو اشكى من ذلك ان كثيرين من اغنياء اليهود يذعنون لحكم الحاخامين ذلك الحكم الذي لا يجحف بحقوق الفتاة فقط بل بحقوق الوالدين وبمن يلوذ بهم ايضاً اذ كيف يجوز في شرع العقل ان فتاة سامية المناقب حميدة السجايا كريمة المحتد ترغم فتقترن بفتى لئيم خبيث فاجر دنيء الاصل من سفلة الناس وطغامهم لكون سنه الشيوخ تحتم ذلك . وقد حدثت واقعة من قبيل ما اوردناه فوق هذا منذ نحو سنة وهو ان احد الرعاع البدالين (البقالين) في سوق حنون (١) سولت له نفسه ان يقوم بهذا الفعل الفظيع فلما طرق خبر تلك الجرائة مسامع ابوي الفتاة قاما وقعدا لتلك الوقاحة بل الفظاظة الغير المعهودة في عصر الحرية والعدالة واهانا الربانيين كافة لتأييدهم دعوى سخيفة كل السخافة وحجة باطلة يمجها الذوق السليم ولا يأتيها الا فريق من الطغام اللئام . فلما رأى رؤساء الدين وتحققوا ان لا طاقة لهم على مقاومة والدي الفتاة واخوتها وانسبائها وارغامهم على مارسموه ، فتق لهم عقلهم انذاك ان يتواطؤوا سراً مع احد الشهود على ان ينكر بتاتاً ما فعل ويقول ان المدعي قد رشاني لاشهد زوراً فأبيت ما اتيت من شدة فقري وهانذا اعترف امام الحكومة بعظم جريمتي طالبا الصفح والغفران عن زلتي .

لقد فعل الربانيون ما فعلوا خوفا من هياج الجمهور لئلا يخالفوا سنة الشيوخ ويتمردوا على تقاليد الاباء حسب زعم السذج منهم وادعاء البلداء فناشدتك الله ياصاح هل سمعت في عمرك عن عادة اجحف بحقوق ذوات الخجال من هذه . فيا ليت يقوم اليوم عقلاء اليهود وادباؤهم ويلغون هذه العادة القبيحة المار ذكرها لكي لا يسري داؤها العياء الى مابينهم ويصبحوا مضغة في افواه ناشئة العصر الذين قد وقفوا نفوسهم واقلامهم لقلع زوان الظلم والاستبداد ويكونوا في الوقت ذاته قد خدموا طائفتهم خدمة جليلة لا يقدرها حق قدرها الا ذووها .

٤ عقد الخطبة

عقد الخطبة ويعرف عند اليهود باسم « التقديس » (واللفظة غير عربية بهذا المعنى) معروف عندهم . ويقولون فلان قدس فلانة وفلان مقدس وفلانة مقدسة الى آخر ماهنالك من هذه الالفاظ بمعنى خطب ومخطوبة وخطيب . وتتم الخطبة على هذا الوجه :

يحضر العروسان مع الوالدين والاقرباء والاصحاب والمدعوين الى ردهة

(١) سوق مشهور في حي اليهود تباع فيه الفواكه والاثمار والخضر والبقول والقطاني ونحوها .

فسيحة الاطراف فيقوم الحاخام ويأخذ بيده قدحا من الشراب الفاخر ويباركه ثم يناوله الخطيب فيشرب نصفه ثم يقدمه الى الخطيبة فتكرع ثمالته ثم ترده الى خطيبها فيأخذه ويكسره امام الحضور دلالة على ان الوفاق قد تم بينهما ولم يعد في طاقة احدهما رفض صاحبه او رفض عقد الخطبة بلا مسوغ شرعي فاذا القى القدح تناقف الحضور كسره وكل من يحصل على كسرة منه يعد نفسه سعيداً لانه يعتقد انها بمنزلة آنية مقدسة ويتيمن بها فاذا تم ذلك تقدم اطباق الحلوى الى الجمهور وبعد ان يأكلوا منها يتفرق عقد المحفل ويذهب كل منهم الى داره داعيا للخطيبين بالسعد والفلاح.

وفي اليوم التالي يرسل الخطيب الى خطيبته عقداً ثمينا او حجراً كريما او غيرها من الهدايا النفيسة والحلويات مع دلال الفتيات وعلى الدلال ان يتقاضى نقوداً من الخطيب باسم جعل الحمال تختلف قيمتها باختلاف الدرجة والمقام.

م - رسوم الزواج

عندما يتم جهاز العروسة ويدنو اوان الاقتران تدفع البائنة الى العروس(١) بعد ان انفق منها جزءاً في مشترى حلى وثياب للعروسة واثاث للبيت فاذا كان صاحبنا غنيا ضمها الى دراهمه واذا كان تاجراً اضافها الى رأس ماله واذا كان مفلسا اصبح ذا رأس مال يتاجر به. بيد انه يؤخذ من الصداق مبلغ معلوم يخصص لدار السكنى ويسمى بلسانهم « مشكنتى » ولا يجوز للزوج ان يتصرف فيه الا اذا مست الحاجة الى ذلك.

وقبل ان تكون ليلة الزفاف يرسل العروس بدراهم الى العروسة من جيبه الخاص لتنفقها على نفسها وصويحباتها في الحمام. وفي تلك الليلة تخضب النساء بدان العروسة واناملها اكثر المدعوات والمتسببات بخضاب يعرف بالحناء وقبل بضع سنوات كانت تحنأ كلتا اليدين ولم تزل تلك العادة جارية عند الكثيرين من سكان الزور آء حتى يومنا هذا. وفي ليلة الحناء يقرع اهل العروسة الدنبركة(٢)

---

(١) العروس تحت يستوي فيه الرجل والمرأة ماداما في اعراسهما يقال رجل عروس ورجال عرس بضمتين وامرأة عروس ونساء عرائس (مختار الصحاح) لكن اذا اريد تحقيق التأنيث قالوا عروسة كما قالوا عجوزة في عجوز. قال ابن الانباري ويقال ايضا عجوزة بالهاء لتحقيق التأنيث وروى عن يونس انه قال سمعت العرب تقول عجوزة بالهاء اه عن المصباح.

(٢) الدنبركة او الدنبرة آلة من آلات الطرب تقرع قرعا وهي من الفارسية دنبره وهي

من المساء حتى الصباح ويوقدون شمعتين بالتناوب تركزان في وسط لقن مملوء قمحاً وتوقد الشمعة الاولى الى نحو نصف الليل ثم تليها الاخرى حتى الفجر. فتطرب النساء والصبيان ويسكر الرجال حتى يعربد بعضهم وفي وسط افراحهم تأتي الحوانيّ (المخنثات) وهن حاملات اطباق الحنّاء فيحنئن اطراف اصابع العروسة بقموع فترفع اصابعها الى فوق الى ان يجف الخضاب ثم تنقض عليها الفتيات ويخطفن القموع من اصابعها لانهن يعددن ذلك تبركاً وسعادة واغلب الخاطفات يكن من الصبايا العذارى وفي اليوم التالي وهو يوم عقد الزواج يذهب العروس ومعه المدعوون والاقرباء والرفقاء الى بيت العروسة فيجلس في صدر الردهة وعن يمينه والشين وفي لسانهم يدعى واشينيم » والعروسة في حجرة اخرى خاصة بالنساء ومما يحتم على والدي العروسة ايضاً ان يحضرا آلات الطرب كالوسبق والجالغي (١) والدف والدنبك (٢) ونحوها لتطرب الحضور بالحانها الشجية. وبعد ان يمضي بضع ساعات يقوم الطاخام ويعقد عهد الزواج ثم تدار اقداح الشراب واطباق المرطبات والحلوى على الحضور فيأخذ العروس المدعوين الى داره وتأخذ النساء معهن العروسة ويرافقهن الى قربها ثم يرقص المجلس وهم يدعون للعروسين بالرفاه والبنين.

من العادات التي لا توجد عند غير يهود بغداد: هي انه عند زفاف العروسة الى عريسها اي في الليلة التي يبني الزوج على زوجته (ليلة الدخلة) تختلي معهما عجوز لتكون شاهدة عياناً على ثوب عفاف العروسة او بعبارة اصرح لتكون خير شاهد على بكارة الفتاة وهذه العجوز مشاهرة تتقاضاها من المجمع او الكنيس في غرة كل شهر قياماً بمهنتها هذه وهناك بضع عجائز قد اقمن لهذه الغاية واذا اعترض احد على هذه العادة القديمة الغير الائقة بروح العصر يفحمونه بما ورد في هذا المعنى في سفر التثنية ٢٢: ١٣ اذ يقولون ان مثل هذا الاحتياط يحفظ الشبان من كل ما لا تحمد عقباه. ومن خرافاتهم في مثل هذه الليلة انهم لا يسمحون ببقاء الماء في حجلة العروسة

منحوتة من دنبة بمعنى الية الخمل وقد عربها العرب في سابق العهد بصورة طنبورة والشاميون بصورة دربكة وغيرهم من مولدي العرب دربكة

(١) جالغي لفظة تركية تفيد معنى المعازف اي الملاهي كالعود ونحوه تضرب معاً على غناء المغنين (٢) الدنبك تركية يرادبها الطبل الصغير على هيئة مخصوصة .

والعادة عند الاغنياء والمتوسطين منهم هي عندما يبني الزوج على زوجه ان تصدح الموسيقى بالحانها المطربة. هذا وتقف والدة العروسة وبعض النسيبات عند باب مقصورة العروسين او بالقرب منه وهن يهللن هلاهل(١) تمزق جلباب الفضاء من شدتها وبعدان يدنو الزوج من زوجه لايجوز له بعد ذلك ان يتقدم منها الا بعد مضي سبعة ايام واحياناً خمسة عشر يوماً لانهم يعتقدون ان ذلك لايخلو من فوائد طبية. وفي اثناء هذه المدة لاتترك العروسة وحدها في خدرها لكي لاتكون فتنة لرجلها قبل المدة المضروبة للملاقاة الثانية. ومن عاداتهم القديمة ان العروسة تجلس في الوسط ومن عن يمينها وشمالها تقف مدام رأتان وعلى رأس كل منهما ازار (٢) ولكن هذه العادة قد بطلت عند المتنورين منهم لان القدماء وكثيرين من العوام يعتقدون ان المرأتين تطردان الارواح الخبيثة عن العروسة.

وفي اليوم السابع يدعو العم صهره وابنته معاً الى داره ويعد لهما وليمة وهم يدعونها في اصطلاحهم «فتح الوجه» ذلك لان العروس لايذهب الى بيت حميه حياء وتأدباً مالم يدعه دعوة خصوصية واذا لم يأدب له مأدبة. فلا اقل من ان ينفحه بصرة من الدنانير تكون بمثابة الدعوة.

ومن العادات الراسخة في الاذهان والمعدودة من قبيل وحي الاديان ان الشاب لايجوز له شرعاً ان يتزوج ارملة او مطلقة واذا اقترن بها الداعر من الدواعي واصبحت حليلته يحتم عليه ان يتزوج بعدحين بفتاة عذراء لم يعرفها رجل قط.

ويجوز للرجل في شرع اليهود ان يتخذ ابنة اخته زوجة له واما عند المسلمين والنصارى فلا يجوز البتة لانهم يعتقدون ان ابنة الاخت هذه هي بمقام اخته اما اليهود فيذهبون الى ان ابنة الاخت تعد غريبة النسب لكون والدها غريباً ويوردون لحصمهم ماجاء في سفر اللاويين ١٨: ٦ من انه لم يرد نهي عن اتخاذ ابنة الاخت زوجة للخال غير انه وان لم يرد شيء من قبيل ذلك الا انه عما تنفر منه الطباع العفيفة والعقول السليمة لقرب صلة الرحم بينهما وكثيرون من الاسرائيليين لايقدمون على ذلك تشاؤماً من الموت الباكر وتطيراً من انقضاض غراب البين واختطاف احد الزوجين

---

[١] الهلاهل جمع هلهلة مصدر هلهل والكلمة فصيحة يستعملها بمعناها الفصيح العراقيون الى يومنا هذا والصوت اذا ردد اطلقوا عليه هلهولة وهي تصحيف هلهلة ويجمعونها على هلاهيل.

[٢] الازار عند العراقيات الخبرة عند الشاميات وبلسان الاعرابيات الملاءة وهي الملحفة عند المصر.

وهو في شرخ الشباب وغضاضة الاهاب فلاجل ذلك لا يقدم عليه في حاضرتنا الا نادراً وقد اقترن بعضهم ببنات اخواتهم بيد ان اغلبهم ماتوا وتركوا نساءهم ارامل حتى مماتهن لانه لم يجسر احد الرجال على ان يقترن باحداهن لئلا يصيبه ما اصاب لزوج الاول

والشيء الذي لابد من ذكره في هذه المجالة وتوجيه الانظار اليه هو ان بعض الفتيات الاسرائيليات يصبأن الى الدين الاسلامي في كل عام تقريبا اما لفقرهن المدقع واما لدعي العشق والغرام وقد صبأت احداهن الى النصرانية منذ نحو عامين في البصرة واقترنت باحد نصارى الارمن وهي حبلى ترزق وقد ولدت ابناً وابنة وهذا مما لا يقع الا نادراً .

٦ . الطلاق عند اليهود

الطلاق جائز في الدين اليهودي لامرين مهمين فقط وهما: ١ اذا خانت المرأة بعلها ودنست مضجعه بشهادة اثنين. ٢ اذا كانت عاقراً واراد بعلها ان يقيم له نسلاً فيمكنه ان يطلقها او يهجرها فان ابت الزوجة ان تفارق قرينها فراقاً باتاً يجوز لها ان تمكث معه ولكن حذراً من وقوع الخصام والنزاع بين الضرتين تقيم كل من الزوجتين في بيت خاص بها .

هذا ولا يجوز لليهودي الاضرار Polygamie اي التزوج باكثر من امرأة واحدة الا لاسباب مهمة اوغيرها من الاسباب المهمة التي تتعلق بها سعادة الزوجين وهنأؤها.

رزوق عيسى

الرّماحية

Les ruines de Rammahyyeh « près de Nedjef ».

في ربوع خزاعة بالشامية على مقربة من النجف انقاض بلدة قائمة على جدول كان يحط اليها من الفرات، تلك هي بلدة «الرماحية» (١) لم يذكرها ياقوت لانها مستحدثة بعد زمانه قليلاً ولا تكلم عليها الباحثون المتأخرون فيما اعلم (٢) ويقول

---

(١) الرماحية نسبة الى الرماح وزان شداد وليس كما ضبطها هوار Huart في كتابه «تاريخ بغداد في الازمنة الحديثة» وزان غراب المنسوبة المؤنثة اي Roumahiyya في عدة صفحات من كتابه اي ص ٣٦، ٤٢، ١١٢، ١١٩، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠ (لغة العرب)

(٢) لم يتكلموا عنها كما فعل حضرة كاتبنا الشهير لكنهم ذكروها في مطاوي كلامهم من الوقائع التي حدثت فيها وفي جوارها وممن ذكرها مرتضى نظمي زاده وصاحب تاريخ داود باشا وميرزا محمد باقر النقيبي وغيرهم . (ل . ع).